**المحاضرة الثالثة المنهج المقارن**

هو منهج يسلك سبيل الربط بين الموضوعات المتعددة، لاستخلاص أوجه الشبه أو الخلاف بينها، ثم الخروج من ذلك بحكم تدعمه نتائج العملية.

وعلم مقارنة الأديان يقوم بالأساس على المنهج المقارن، ولا شك أن المقارن يهدف من المقارنة معرفة أعمق بموضوع المقارنة، فيركز على ما بين موضوعي المقارنة من اتفاق أو اختلاف، أو متشابهات ومغايرات، وهذا المنهج في دراسة العقائد والأديان والملل والنحل، منهج فريد يمتاز بنتيجة مهمة وهي الخروج من تلك المقارنة بأوجه الحسن التي تدعو ضمناً إلى وجوب إتباعها، واطراح الباطل.

ومن ميزات هذا المنهج: إظهاره نقاط الاتفاق والاختلاف بين الفرق المتفرقة والأديان المختلفة، وهذا بدوره يؤدي إلى النظر الصحيح من قبل عقلاء تلك الطوائف في الحق الذي عند الآخرين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المقارنة عندهم لم تتخذ صورة واحدة أو شكلاً واحداً، وإنما اتسع مفهوم المقارنة لديهم وتمثل في صور متنوعة، منها على سبيل المثال: أن يدرس الباحث جانباً أو أكثر من ديانتين أو أكثر ثم يقارن بينهما، ومنها أن يتناول الدارس ديانة واحدة ويدرسها دراسة عميقة، من كل جوانبها، ومن صور المقارنة كذلك دراسة شخصية مؤسس الديانة، أو رسلها، مثل المقارنة بين المسيح عليه السلام، وشخص بوذا أو كرشنا، ومنها دراسة الأسفار التي يقدسها أصحاب الديانات، وعلماء الأديان الغربيون.

ومنهج التحليل والنقد من أبرز الخصائص التي امتاز بها العلماء المسلمون، ذلك أن طريقة المقارنة تهتم بدراسة مختلف أنواع الظواهر الدينية على الخصوص بتعيين وتحليل العوامل التي تؤدي إلى التشابه والفروق في الأنواع المعينة.

**العامري والمنهج المقارن**

هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري، ولد بنيسابور في أوائل القرن الرابع الهجري وتوفي بها رحمه الله عام (٣٨١هـ)، ولكنه لم يقض كل حياته بها، لأنه مثل علماء عصره كان محبا للترحال تواقا لطلب العلم من أماكن شتى، ولذلك وصف بأنه "كان من الجوالين الذين نقبوا في البلاد، واطلعوا على أسرار الله في العباد".

وبالنظر في مصنفاته:

في العقيدة، مثل: الفصول في المعالم الإلهية، والعناية والدراية.

في مقارنة الأديان، مثل: الإعلام بمناقب الإسلام، والأمد على الأبد، والإبانة عن علل الديانة.

في التفسير، مثل: الإرشاد لتصحيح الاعتقاد، وهو يدرس إعجاز القرآن.

في الأخلاق وعلم النفس، مثل: الإتمام لفضائل الأنام، والفصول الربانية في المباحث النفسانية.

يمكن الاستنتاج أن العامري كان موسوعي الثقافة حيث صنف في فروع المعرفة المختلفة.

**منهجه في مقارنة الأديان**

في كتابه: (الإعلام بمناقب الإسلام) يحدد العامري الأديان التي يقارن بينها وعناصر المقارنة ومنهجه في التناول، أما الأديان التي وقع اختياره عليها فهي الأديان الستة: الإسلام، اليهود، النصارى، الصابئة، المجوس، الوثنية، التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وهي: ( الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة)، أما الأديان التي لم يرد لها ذكر في القرآن فلم يعتبرها، وهو ما يبرهن على انطلاقه من مرجعية إسلامية، وأما عناصر المقارنة فهي تشمل ما يسميه (أركان الدين) أي العناصر التي تشكل جوهر الدين والتي تشترك فيها جميع الأديان، وهي:

العقائد وتشمل: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

العبادات وتشمل: الصلاة والزكاة والصيام والحج .

الشرائع وتشمل: المعاملات والحدود، وهذا الجزء لم يتناوله في كتاب الإعلام وإنما أفرد له كتابا مخصوصا هو الإبانة عن علل الديانة.

ولما كانت رؤية الدين لديه لا تقتصر على هذه النواحي الثلاث التي يتشكل منها وإنما يشمل التجليات التي أسفر عنها الدين في المحيط العام الذي طبق فيه، فقد شملت المقارنة أربعة عناصر إضافية هي: النظام السياسي، والنظام الاجتماعي، والنظام الثقافي الذي أنتجه، وكذلك الإسهام الحضاري لأتباعه.

**القواعد والأسس المنهجية التي اتبعها العامري في دراسته المقارنة للأديان**

أولاً: ألا يوقع المقايسة إلا بين الأشكال المتجانسة، أعني ألا يعمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذاك، كالمقايسة والمقارنة بين بعض أصول العقائد في الأديان مع بعضها

الأخرى، والمقارنة بين أصول العبادات، ولا يعكس الأمر فلا يقاس الأصل بالفرع أو الفرع بالأصل، ولذلك قام في دراسته المقارنة بين الأديان الستة التي ذكرناها على الجوانب الأساسية المذكورة وهي: العقائد والعبادات وغيرها، وجعلها محورًا لدراسته بوصفها أصولا مشتركة.

ثانيا: لا يعمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق غير مستفيضة في كافتها، فينسبها إلى جملة طبقاتها، كأن يقارن بين عقائد المذهب الإباضي أو المعتزلي مع المذهب النصراني على أنها عقائد المسلمين التي تمثل كافتهم؛ أو بالعكس مع الأديان الأخرى.

ثالثا: اتخذ العامري منهجية عرض العقائد على العقول، ليتبين صدقها من كذبها، وذلك لأنه من القائلين بأن العقل السليم والنقل الصحيح لا يتعارضان، يقول: "من الواجب على الإنسان أن يعرض جميع ما يسنح لقوته المتخيلة من الأبواب الاعتقادية على قوته العاقلة؛ ليأمن به آفات الكذب"، وهذه مبادرة منه لعرض أسس الأديان حين المقارنة بينها على أدلة هي موضع اتفاق بين الجميع.

رابعا: انتقد العامري التقليد في البحث العلمي في مسائل العقائد والإيمان، رافضا التعصب لمعتقدات الآباء والأجداد، وحاثا على الرجوع إلى منهج القرآن الكريم، الذي يكون فيه المسلم قدوة بالإصلاح والإنصاف والعدل تجاه غيره، قبل أن يأمرهم بشيء من ذلك، وداعيا المتدين إلى: "أن لا يكابر ما أوجبه العقل الصريح لمحبة التقليد، وخصوصاً لمن لا يشهد له بالعصمة، فإن الحق لا يعرف بالرجال، بل يعرف بنفسه.

ويمثل لمنهجه ما أورده في كتابه في الفصل الخامس المعنون: (القول في فضيلة الإسلام بحسب الأركان الاعتقادية) بمقدمة نظرية تشير إلى وجود علاقة ارتباطية بين التوسط والاعتدال وبين قابلية الدين للبقاء والاستمرار، فيقول: "إن أحق الأديان بطول البقاء ما وجدت أحواله متوسطة بين الشدة واللين، ليجد كل من ذوي الطبائع المختلفة

ما يصلح به حاله في معاده ومعاشه، ويستجمع له منه خير دنياه وآخرته، وكل دين لم يوجد على هذه الصفة بل أُسس على مثال يعود بهلاك الحرث والنسل فمن المستحيل أن يسمى هينا فاضلا"، وهو يتناول بالتحليل خصائص العبادات الإسلامية مقارنا بينها وبين ما يوازيها من عبادات في الأديان الخاضعة للمقارنة، وهي:

**الصلاة:** ويسميها "العبادة النفسية" لاشتمالها على إخلاص النفس لله عز وجل والخضوع له، والصلاة في الإسلام تفضل الصلوات في الأديان الأخرى من وجهين: أنها وسط بين المغالاة في الكثرة (كصلاة الرهبان) أو القلة (كصلاة المجوس) ولهذا فهي بعددها تتيح للمسلم أن يحصل أسباب المعاش مع قضاء حق الله تعالى في التعبد، وهي كذلك بهيئتها تمثل الخضوع الكامل، وهي مخصوصة ببداية ونهاية ومصونة بكلام محدد، أما صلوات الأديان الأخرى فتنقصها هذه الخصائص فبعضها ركوع بلا سجود وبعضها غير معلوم البداية والنهاية، وبعضها مجرد تلفظ كالصلاة في المسيحية.

**الصيام:** ويطلق عليه "العبادة البدنية" وهو يفضل صيام الأديان الأخرى من وجهين: أنه وسط بين الطول (صوم المسيحية) والقصر ( صوم المجوس)، وأنه من حيث الكيفية فهو وسط ومعتدل لا يؤدي لنحول الجسد (كصوم الثنوية والمسيحية)، وليس كصوم اليهود لا يعرف له نظاما مستقرا وأوقات مخصوصة لا يعلمها إلا الأحبار.

**الزكاة:** ويعرفها بأنها "عبادة مالية توجب على الإنسان الإنفاق على ذوي الحاجة من دخله من مصادر الثروة الثلاثة: الحيوانية والنباتية والمعدنية" وهي عبادة موجودة في جميع الأديان عدا المسيحية والمانوية، والزكاة في الإسلام تفوق الأديان الأخرى ويكفي لبيان ذلك الإشارة إلى اقترانها بالصلاة عماد الدين، وهي تتميز بالاعتدال إذ لا تتجاوز

ربع العشر، أما في اليهودية فتصل إلى العشر في النبات والحيوان، وأما المجوس فتوجب إعطاء الأزواج لبعضهم ثلث المال.